صيف العام ١٩٨٢، الّا ان تعمّق الخلافات بين البلدين لم يكن خافياً على جبهة العمل الدبلوماسي المتعلق بأزمة الشرق الاوسط، وبشكل خاص حول السيناريوهات المقترحة لتسوية هذه الأزمة، سواء من حيث الاسلوب (قضية المؤتمر الدولي) أو المضمون (الحقوق الفلسطينية). وفي مقابل التوافق الاسرائيلي ـ الاميركي على التمسّك بأسلوب كامب ديفيد، الذي يقوم على أساس مفاوضات مباشرة تهدف الى تحقيق حكم ذاتي للفلسطينيين، حدّدت القيادة السوفياتية موقفها بالدعوة الى عقد مؤتمر دولي، تكون مهمّته «ايجاد الحلول لكافة جوانب التسوية في الشرق الاوسط»، على أساس «اقرار الحقوق الوطنية المشروعة للشعب العربي الفلسطيني، ومنها حقه في اقامة دولته المستقلة»، و«احلال حالة السلام وضمان الامن والتطور المستقل لجميع الدول أطراف النزاع»، حسب ما جاء في المبادرة التي طرحها الزعيم السوفياتي السابق ليونيد بريجنيف، في ١٥ أيلول (سبتمبر) ١٩٨٢، وتعديلاتها التي أُعلنت بتاريخ ١٩٨٤/٧/٢٩، وهي المبادرة التي حظيت بترحيب عربي كبير، وبمعارضة اسرائيلية، وأميركية، حازمة.

وبصرف النظر عن مضمون المبادرة ذاتها، فقد بدا واضحاً، في حينه، ان أي محاولة سوفياتية، للانخراط في مسيرة التسوية لا بدّ وان تصطدم بجدار القطيعة الدبلوماسية القائمة بين موسكو وتل ـ أبيب، وبأجواء الريبة التي تستبد بتقديرات كل جانب لنوايا الجانب الآخر.

## المرحلة الرابعة؛ عودة الحوار وآفاق المستقبل

«ما دام الحديث يدور حول اتصالات فقط، فان الاتصالات بين الاتحاد السوفياتي واسرائيل لم تنقطع حتى يقال انها استؤنفت الآن».

هذا الكلام، أو ما يشابهه، سمع خلال الآونة الاخيرة، وهو يتردّد على لسان غير مسؤول سوفياتي، مقروناً، في بعض الاحيان، باحالات اسنادية كثيرة تكرر استذكار ان الاتحاد السوفياتي واظب، طوال المرحلة الماضية، على ارسال وفد الى اسرائيل للمشاركة في احتفالات اليوم العالمي للانتصار على النازية، في أيار (مايو) من كل عام، وان لقاءات عديدة جمعت بين دبلوماسيين من الطرفين في غير عاصمة اوروبية، وان وزيري خارجيتي الطرفين سبق وان التقيا على هامش اجتماعات الامم المتحدة. ومع ذلك كله، فان الاقتراب ممّا يجرى على خط موسكو ـ تل ـ أبيب يشعر بأن قنوات جديدة تماماً بدأت تُشَق بين العاصمتين، وبأن المياه التي تسيل في هذه القنوات، وان كانت لا تزال دون المستوى الذي يسمح بمراهنة مضمونة على عودة قريبة للعلاقات الدبلوماسية الكاملة (التي يصرّ المسؤولون السوفيات على تمييزها بقوة عن مدار الاتصالات الجارية الآن)، فانها أغزر من ان توضع في صف زيارات أيار (مايو)، او «السهرات» القنصلية، او حتى لقاءات الامم المتحدة السابقة بين وزيري خارجيتي الطرفين. ولم يعد من الصعب، الآن، تلمّس التجسّدات الملموسة لمثل هذا التوجّه الجديد بين الطرفين، بدءاً من دلائل التحسّن المطرد الذي تشهده علاقات دول المنظومة الاشتراكية مع اسرائيل، والتي لم يكن لها ان تظهر، حسب التحليل الاخير، لولا وجود ضوء أخضر من قبل موسكو، ومروراً باللهجة الجديدة التي بدأت تستخدمها القيادة السوفياتية ـ على تدرج مستوياتها ـ عند التحدّث عن موضوع العلاقات مع اسرائيل، حيث يتكرر تأكيد ان «غياب العلاقات الدبلوماسية بين الاتحاد السوفياتي واسرائيل ليس أمراً طبيعياً»، وانتهاء بسلسلة اللقاءات (نصف السريّة في البداية، والعلنية الآن) التي أُجري، ويجرى، عقدها بشكل شبه منتظم بين مسؤولي الجانبين.

وقد يكون من الجائز القول، هنا، ان المسألة لا ترجع الى الوقائع قدر ما ترجع الى «السياق»